

الخميس 18-07-2011

1448-قراءات في كراسات التدريب



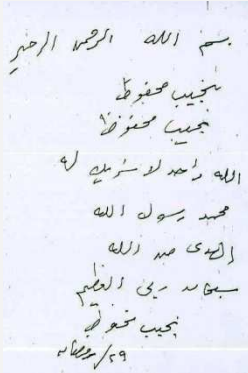
قراءة:
في كراسات التدريب
(نجيب محفوظ)

مقدمة:

مفاجأة هذه الصفحة لم تكن في حسابي، اكتشفتها في نهاية قراءتي لها حين لاحظت التاريخ الختامي مصادفة وقد كتبه شيخنا كالعادة بخط يده طبعاً (حتى تصدقوا!).

وإليك النص أولاً:

ص 33 من الكراسة الأولى



بسم الله الرحمن الرحيم

نجيب محفوظ

نجيب محفوظ

الله واحد لا شريك له

محمد رسول الله

الهدى من الله

سبحان ربي العظيم

نجيب محفوظ

29 رمضان

الفكرة الأولى:

كالعادة: يبدأ نجيب محفوظ مثل كل (أو أغلب) تدرّيباته تقريبا بالبسملة، وهو يعيدها في كثير من الأحيان كما أنه ينهى كل صفحة باسمه توقيعا أو كتابة، ثم يكتب تحته تاريخ الكتابة اليوم والشهر والسنة - الميلادية - بالأرقام.

تدريب هذا اليوم بالصدفة كان في رمضان، وبدلا من أن يكتب التاريخ بالتقويم الميلادي كتبه بالتقويم الهجري 29 رمضان، ولم يكتب السنة (الهجرية) كما اعتاد أن يفعل حين يكتب التاريخ عادة بالتقويم الميلادي.

يا ترى هل هي نفحات رمضان التي جعلت هذه اليومية كلها تسبيح ودعوات وذكر وابتهالات؟

هل كان نجيب محفوظ يعلم أن ما يكتبه في رمضان سوف نقرأه معه في رمضان فخرجت منه ابتهالات خالصة تماما دون أن تختلط بأغنية، أو تشترك في فكرة شاردة، أو حكمة أو ذكرى؟

ربما .

أعيش هذه الأيام القرآن الكريم، وأنا أتلقاه "وعيا خالصا"، خطر لي هذا التعبير أثناء ردي على أحد الأصدقاء أو الصديقات في بريد الجمعة، لا أعرف من أين جاءني هذا التعبير، شعرت أن القرآن: إيقاعا وتركيبيا وحضورا: هو جزء من وعي كوني مخاطب وعيا بشريا من لدن حق مطلق ليس كمثله شيء، وبالتالي هو لا يحتاج إلى معجم بجواره، ناهيك عن اجتهادات التفسير التي تصيب حيناً ومجانبتها التوفيق في أحيان أخرى كثيرة، هو وعي خالص، ثم تأتي المعاني فيه بعد تلقيه هكذا وعيا خالصا، فترتق بعض الجمل والألفاظ في محيط الوعي المحيط، فتصل إلى وعيك الشخصي أولاً، تصل كل حسب اجتهاده وسماح ونفاذية مسام وعيه وخشوعه وتجليه.

يفسر لي هذا الفرض ظواهر شغلتنى طويلا في صورة أسئلة محيرة، بعضها جسور خطير، منها مايلي:

1- لماذا يصل القرآن الكريم للأطفال - عادة - كما يصل إلى الكبار وأحيانا أرق وأنقى في الكتاب في القرى خاصة؟.

2- كيف يصل القرآن الكريم إلى الأميين عامة، والكهول منهم خاصة بكل هذا التأثير؟

3- كيف يصل القرآن الكريم باللغة العربية للمسلمين الذين يسمعون (أو يتلونه) وهم لا يعرفون العربية).

4- كيف كان الطفل (جيل والدي) يحتم القرآن كله حفظا وتسميعا وهو في سن الثامنة أو التاسعة أو حتى العاشرة قبل أن يدخل ما يقابل سنة أولى ابتدائي في معاهد الأزهر الشريف هذه الأيام.

خطر لي في هذا الشأن (رقم 4) يوما تفكير محتج يقول: أن هذا نوع من حشر الألفاظ بالجملة في مخ الصغير، في هذه السن بما يترتب عليه نوع من التكسد معاً، فلا يعود الطفل - طفلاً ففاضلاً - قادراً على استيعاب الجديد بأية درجة مفيدة، كذلك يمكن أن يعرضه هذا لفقد المرونة ومن ثم يعطل الإبداع، وظل هذا الهاجس يراودني عشرات السنين مع أنني كنت اكتشف باضطراد أن كل من أعرف من الذين حفظوا القرآن صغاراً في هذه السن شُبُّوا أكثر إبداعاً ليس فقط نتيجة تمكنهم من لغتهم الفصحى، وإنما بمقياسي الأصالة والطلاقة، حتى لو اهتزت علاقتهم بالعبادات أو العقيدة قليلاً أو كثيراً.

أقلقتني وأسعدتني هذه الملاحظات المتعارضة مع هاجسي الأساسي، وأخيراً، بعد عشرات السنين بدأت أفكر بطريقة أخرى حتى بزغ لي فرض مختلف يقول:

يبدو أن وعي الطفل الأقرب للفترة يكون قادراً على التواصل مع القرآن الكريم وعياً نقياً خالصاً بشكل سلسل يسهل تسجيل حروفه وألفاظه كلها بهذه السهولة المتناغمة وهذا العمق المتوازن، وأن هذا يظل كذلك بقية حياته مهما ابتعد عن هذه الخيرة الأولى زماناً أو ممارسة.

الفكرة الثانية:

حين وصلت إلى نهاية الصفحة لاحظت أن هذا هو اليوم الوحيد (حتى الآن ولسبعة أيام لاحقة) الذي كتب فيه شيخنا التاريخ الهجري في النهاية (كما ذكرت في المقدمة)، فرحت أراجع صفحات التدريب والتاريخ في نهاية سبع نشرات سابقة، وسبعة لاحقة، فكانوا على الوجه التالي:

| | |
|--|-------------------------|
| الصفحة رقم 26 | التاريخ 1995-2-22 |
| الصفحة رقم 27 | التاريخ 1995-2-23 |
| الصفحة رقم 28 | التاريخ 1995-2-24 |
| الصفحة رقم 29 | التاريخ 1995-2-25 |
| الصفحة رقم 30 | التاريخ 1995-2-26 |
| الصفحة رقم 31 | التاريخ 1995-2-27 |
| الصفحة رقم 32 | التاريخ 1995-2-28 |
| الصفحة رقم 33 التاريخ 29 رمضان (صفحة اليوم) | |
| الصفحة رقم 34 | التاريخ 1995-3-2 |
| الصفحة رقم 35 | التاريخ 1995-3-3 |
| الصفحة رقم 36 | التاريخ 1995-3-4 |
| الصفحة رقم 37 | التاريخ 1995-3-5 |

| | |
|---------------|-------------------|
| الصفحة رقم 38 | التاريخ 1995-3-6 |
| الصفحة رقم 39 | التاريخ 1995-3-7 |
| الصفحة رقم 40 | التاريخ مارس 1995 |

اقتربت بذلك من الفرض الذى ذكرته سابقا والذى يقول:

إن ما يسطره الأستاذ في كراس التدريبات هو مجرد "قمة جبل" من وعى بذاته، يحضر أثناء التدريب، ولا يسجل منه إلا ما يظهر على سطح عموم الوعى، وهذا هو ما يبرر قراءتى استطرادا وتداعيا حتى الآن (نشرة 28-7-2011 قراءة في الصفحة 30) ، ويبدو أن وعى رمضان حضره هذا اليوم (29 منه) فجاءت التدريبات كلها ابتهالات ودعاءً وتسبيحا كما لاحظنا.

الفكرة الثالثة:

لاحظت أيضا أن هذا التاريخ (29 رمضان) هو في العشر الأواخر من رمضان التى فيها ليلة القدر "التمسوها في العشر الأواخر"، وهو أقرب ما يكون إلى الشائع عنها (27 رمضان) واسترجعت علاقتى بهذه السورة الجميلة وكيف أننى تحفظت على كثير من تفسيرات تقليدية لهذه السورة بالذات وخاصة ما ذكر فيها من أن القرآن الكريم نزل في ليلة القدر مع أن التاريخ العادى يقول إنه نزل على دفعات طول سنوات الرسالة كلها (23 سنة).

وصلنى احتمال فرضى ينبهنى أن الوعى الإلهى يمكن أن ينزل جرعة واحدة في وحدة زمنية متناهية الصغر بحيث لا يرصدها الزمن العادى ثم إنها قد تستغرق للخروج إلى الوعى الخاص فالعام سنوات طوال بحساب الزمن العادى.

قياساً مع الفارق حضرتنى محوئى في الإبداع بالذات، وخاصة في قراءتى في شهادات المبدعين (مجلة فصول: المجلد التاسع العدد الثالث والرابع 1990)، وهو قياس مع الفارق طبعاً وكيف أن الرواية (أو القصيدة) التى تكتب في عشرات أو مئات الصفحات قد تتكثف ابتداءً في لحظة شديدة القصر ثم يضطرد الإبداع بعد ذلك وكأنك تشد خيطاً متصلًا من كتلة هلامية حضرت مرة واحدة ثم إذا بها تنساب كالخيط نسيجاً على مساحة أكبر فأكبر في زمن قد يصل إلى سنوات وليس معنى ذلك طبعاً أن القرآن الكريم هو إبداع النبى صلوات الله عليه بأية حال من الأحوال.

هذا مجرد فرض محدود لا أتمسك به بل ولا أنصح بالتمادى في القياس عليه، المهم أن كل ذلك كاد يدفعنى إلى أن أعرج إلى فحص علاقة شيخى بالدعاء والتسبيح وبالهدى وبالتوحيد، وبالله عز وجل.

بدأ شيخنا تدريب اليوم بأن الله واحد لا شريك له (التوحيد) ثم تلى ذلك أن محمداً رسول الله (فكتب الشهادتين ليس بنصهما المعتاد)، رحلت أراجع في ذاكرتى مما تناقشنا

فيه أحيانا حول أن الشرك غير الكفر، فالشرك هو أن نشرك مع الله في عبادتنا أى موضوع آخر: شخص آخر زوج أو ولد أو مال أو سلطة أو ذات، أما الكفر فهو إنكار الحق تعالى أصلا، قصورا، أو جهلا أو عمى.

وأجبت الاستطراد في ذلك واثقا أننا سنعود إليه في صفحة تدريب قادمة

ثم نختتم شيخنا التدريب هكذا:

"الهدى من الله"

ثم سبحان ربى العظيم

وقد ناقشنا من قبل كيف أن الهدى من الله، وكيف أن الله يهدى من يشاء، ومع ذلك يظل الاهتداء إلى الحق هو مسئولية العبد تماما ودائما. **"نشرة 2010-1-27 قراءة في صفحة**

التدريب (8)"

وأخيراً فأنا لا أذكر هل كتبت في قراءتى حتى الآن في كراسات التدريب ما يكفى عن قراءتى لظاهرة التسبيح لأننى أذكر أن شىخي كان يكرر هذا التسبيح صامتا كثيرا كثيرا وأعتقد أننى لابد سأعود إلى ذلك مع العروج إلى تسبيح الجماد (الجبال مثلا) لرب العالمين، وتسبيح ما بين السماء والأرض... الخ وعلاقة ذلك بالإيقاع الحيوى.

خاتمة:

بينى وبينكم لا أريد أن أعرج إلى تفصيل أكثر من ذلك عن علاقة شيخنا بربنا تعالى، الأمر الذى أنكره الخنا، وهمشه غلاة الحديث ولقد رجعت إلى ما تيسر لي حالا من المتاح في هذا الصدد بدءا بكتاب جورج طرابيشى "الله في رحلة نجيب محفوظ الرمزية" (الطبعة الأولى 1976 حتى الثالثة وهى التى عندى 1980)، وانتهاء بكتاب البحث عن زعلواى تأليف: خالد عاشور الهيئة العامة للكتاب (2006)، مرورا بكتاب الإسلامية والروحية في أدب نجيب محفوظ تأليف محمد حسن عبد الله (مكتبة مصر 1978)، فوجدت ان هذا كله يحتاج إلى كتاب مستقل خصوصا إذا أضفت إليه دراسى السابقة "قراءة في نجيب محفوظ" وخاصة ("دورات الحياة وضلال الخلود" ملحمة الموت والتخلق في الحرافيش، والشحاذ، ثم ليالى ألف ليلة" الهيئة العامة للكتاب 1996)، وقد وجدت أن المسألة تحتاج إلى كتب لا كتاب، فإذ أضفت إلى كل ذلك ما خططت له لاستكمال دراسى التكاملية لكل من "أصداء السيرة الذاتية" و"أحلام فترة النقاها"، مما وعدت به بعد انتهائى من دراسى التشرىحية لهما فقرة فقرة، ("كتاب طبيعة الحلم والإبداع دراسة نقدية لأحلام محفوظ" مكتبة الشروق 2011) وأسوة بالفصل الذى ألحقته بآخر كتابى ("أصداء الأصداء" المجلس الأعلى للثقافة 2006) عن الطفولة. إذا جمعنا كل ذلك إلى بعضه إذن لأمكن أن نشير إلى بعض ابعاد هذه العلاقة الرائعة الهادية الأصل.

هل يمكن؟

الواجبات تتسع والأمل يزدهر وأدعو الله أن يتيح لي
الفرصة لأكمل ما وعدت به!!

إن كان في العمر بقية .

من يدري؟

سيدي، دعني أحذو حذوك وأنا اختم هذه النفحة الرمضانية
بالدعاء لك ولنا ولمصر

رمضان كريم

وكل عام وأنت معنا أرحب وأعمق

17 رمضان